في إنتظار فدوى

حسام الخطيب ـ مصر

ايقظها صوت الديك، حسبت ان الصباح قد هل ولكن لما عليها القلق فهي لا تعمل بأي حال وليس لديها أطفال، يمكنها النوم ساعات إضافية، ولكن مهلا الشمس قد اشرقت ونور اشعتها قد لامس طرف الفراش، لا ريب ان الديك هو من استيقظ متأخرا او انها لم تعي لصياحه في بكاري النهار.

تلمست مكان زوجها الي جوارها، لا يزال دافئا ، ربما غادر قبل قليل، ولكن كيف له ان ينسي ان يوقظها، اين قبلة الصباح واين عناق الوداع عند الباب، شعرت برغبة قوية في معاتبته، خرجت الي غرفة المعيشة، وجدت افطارا بسيطا من بيض وخبز مع عصير كاد ان يفقد طزاجته لفرط نومها وورقة صفراء مطوية بعناية الي جوار ذلك

تعرف تلك الورقة

انها عادة زوجها منذ زواجهما منذ عامان ، يكتب لها عبارات ما كل يوم تعبر عما بداخله نحوها، كان في البداية يضعها الي جوار الفراش ولكن حينما لاحظ انها تقلق ليلا وتمد يدها بعفوية لتقرأ الرسالة قبل طلوع الصباح بدأ يضعها علي المائدة الصغيرة بغرفة المعيشة

فتحت الورقة وهي تقرأ بعيناها

" صباح المسرة علي سيدة الكون الابدية وسيدة النساء "

"رأيتك متعبة فعز علي ان اجتمع انا والتعب علي اقلاقك، افتقدت قبلاتك وعناقك هذا الصباح ولكن سأعوضك اضعافا كثيرة حينما أعود بنهاية النهار، أُحبك قدر ما أحَب كل العشاق حبيباتهم وأكثر، كوني بخير، استمتعي باليوم، ارشح لك اغنية من هذا الذي نساك ل (نانسي). المولع بحبك (معاذ) ،،

كانت تلك رسالته الخمسمائة لها أو الستمائة لا تذكر، العجيب انه لم يكتب لها أي رسائل قبل الزواج، بل كانا قلما يتحدثان، ربما لفرط انهماكه في تجهيزات العرس ومسكن الزوجية وغير ذلك ، تلك الاعباء التي اقعت علي قلبه فلم يجد وقتا ليظهر لها كل ذلك الحب

كانت رسائله تتراوح بين أبيات شعر من غزل او كلمات من اغنية ما وان وجد المزاح رائقا كتب لها كلمات من وحي خياله كتلك وكان يحرص الا يبدل كلماته

عهدته ضعيفا باللغة العربية ومتلجلجا بالحديث في مجالس الرجال وفي حضرة النساء ولكنه بينه وبينها وبين الورق المرسل فيما بينهما يكون خطيب مفوه وبليغ المعني بشدة

لأشد ما تعشقه

قرات رسالته لها مرتان وهي تفكر كيف تجيبه، فهو عودها ان ترسل له رسالة اخري علي ورق اخر بلون ازرق جهزه لها، كان يحب اللون الأزرق بشدة ولكنه

اختار الاصفر لخطاباته لها ليعبر لها عن غيرته ، يقول لها دائما:

" فدوى" اغار عليك من كل شيء، من عيون الناس ومن المقعد الذي تجلسين عليه ومن نسيم الهواء ومن الماء الذي يلامس شفتيك واغار عليك من اخاك واباك وحتي من ابننا القادم.

لم تكن حياتهما شهر عسل متصل، كان يتشاجران من حين لأخر علي امور تافهة ولكنه لم يقطع خطاباته او رسائله اليومية في اي يوم.

تناولت افطارها ببطء وتلذذ، ثم شرعت في احتساء كوب الشاي اليومي الخاص بها وهي تأخذ ورقة زرقاء وتفكر ماذا تكتب له .

لم تكن ضعيفة باللغة العربية ولكن الكلمات تعجزها فقررت ان تدعها لأخر النهار ريثما تتفتق قريحتها عن شيء ما .

وضعت الورقة علي المائدة ثم نهضت لبعض شأنها، رتبت المنزل، دعت الشمس للدخول بدلا من التلصص علي النافذة، شاهدت فيلما علي التلفاز، هاتفت والدتها ووعدتها ان تمر عليها في الظهيرة وهذا ما كان.

حينما عاد (معاذ) ذلك اليوم، كان مرهقا، يشعر بالنصب يسري في اوصاله حتي انه ليجر قدميه جرا، ويشد من ظهره بصعوبة، نظر للورقة الزرقاء علي المائدة ثم تنهد، لم يكن بها حرفا واحدا.

لم يشعر برغبة في الطعام فتبلغ فقط ببعض الماء القراح ثم أوي الي فراشه زاحفا مثلما تأوي الافعي الي جحرها، نام من التعب وزاره كابوس ثقيل في منامه جعله ينهض قبل شروق الشمس مستغفرا، خرج للشرفة وهو ياخذ ورقة صفراء ويكتب بها رسالته الصباحية:

صباحك سكر وان كان بجوار اسمك يصبح مرا عقلم ، صباحك شهد وان لم يكن احلي منك، حسنا صباحك فدوى فهذا الاسم لشخص احلي من سكري وعسلي، لم اجد رد رسالتي، اعلم انه لسبب عظيم ان يمنعك من الرد علي ولكن ارجو الا اكون قد أسات لك او اغضبتك بأي شيء، كل الامور العظيمة ولها مغفرة وحل ولكن غضبك مني لا اقوي عليه، انت تعلمين كم احبك، ربما لا تسعفني كلماتي ولكن والله المعبود اني احبك، سأفتقد قبلاتك هذا الصباح ولكن سأطبع علي هذه الورقة قبلة لعلها تصل اليك. المحب للأبد (معاذ)

انهي رسالته ثم لثمها بقوة وشرع يرش عليها عطرا تحبه ووضعها في مكانها المعتاد علي المنضدة ثم غير ثيابه وغادر.

مر يومه رتيبا كئيبا، زاره وجه (فدوى) في لحظات شرود متقطعة، حتي أنه اخطأ وكتب اسمها بدلا من اسمه وهو يوقع علي وثيقة مهمة

تناول العشاء بالخارج في مطعم صغير علي الناصية، الطعام ليس بمثل جودة طعامها ولكن المنظر رائع، تمني لو انه اصطحبها هنا

حينما عاد للمنزل وجد رسالته الصفراء بمكانها لم تمس، لم يجد رسالتها الزرقاء هذان يومان متتاليان ولم يحدث هذا من قبل، كانت احيانا تغفل او تنسي ليوم فيعاتبها عتابا قاسيا ، ولكنها تراضيه بقوة وتنتظم فيما بعدها.

ولج لغرفة النوم وهو يفتح دولابها، بين الملابس وضعت صندوقا من الورق المقوي، به رسائلهما مجتمعة منذ بدأ في ذلك النظام، تلمسها في شعف

سألته مرة :

– هذه فكرة عجيبة وفريدة من نوعها موضوع الرسائل هذا

اجابها بصوت فيه انكسار:

– كنت اتمني ان تكون فكرتي ولكنها ليست لي ، سبقني بها احد وانا فقط اعدتها للحياة

– حقيقة ، من هذا؟

– سعد زغلول

– هل هذا صديقك ؟

– لا بل الزعيم المصري (سعد زغلول) كان متزوجا من السيدة / صفية زغلول وكانت لا تستطيع الكتابة او القراءة باللغة العربية لان ثقافتها غربية واحب ان يعودها علي الكتابة والقراءة بالعربية فكان يضع لها ورقيات مثل تلك كل يوم في الصباح بجوار فراشها بها كلمات غزل وعشق شديدان ،كانت تستدعي الخدم

لقرائتها وكانت تشعر بالخجل الشديد من فحوي تلك الرسائل وانها تقرأ علي العلن بين يد الغرباء، حتي انها تعملت القراءة باللغة العربية خصيصا حتي تقرأها بمفردها

- رجل ذكي
- وامراة ذكية لانها احبت ان تشاركه تلك اللحظات بمفردهما
- هل ستنقطع رسائلك لي يوما
- ابدا
- حتي ولو كبرنا بالعمر، حتي لو افترقنا في المسافات ؟
- لن يحدث، اليوم الذي سأتوقف فيه عن كتابة الرسائل بالتأكيد سأكون ميتا
- ربنا يجعل يومي قبل يومك
- بعد الشر عليك
- وعليك ايضا

انتبه من ذكرياته علي صوت بالمطبخ، اسرع لهناك، وجد فأرا قد تسلسل له ولا يدري من أين جاء، انتبه انه ترك نافذة المطبخ منفتحة علي مصراعيها، لاشك ان (فدوي) ستغضب كثيرا، فهي تخاف الفئران وتكرهها ، أسرع يطارد الفأر حتي اخرجه من المنزل.

فتح التلفاز وشاهد مقطعا اخباريا ، لم يحتمل سيل الأكاذيب والأخبار البائسة فأغلقه مجددا ثم خرج ، عاد بعد منتصف الليل منهكا، اسرع يكتب الرسالة قبل نومه حتي لا يتعجل كتابتها في الصباح ، لم يواتيه الالهام فأثر ان يكتب بيتين من الشعر لها ، فكتب

عَبِثَ الحبيبُ وكانَ مِنهُ صُدودُ ونأى ولمْ أكُ ذاكَ مِنْهُ أريدُ

يُمسي ويُصبِحُ مُعرِضاً متَغضبِّاً وإذا قصَدتُ إليهِ فَهوَ يَحِيدُ

لا يذكر لمن تلك الابيات ربما لشاعر جاهلي او ممن حضروا الاسلام ولكنها كلمات جياشة عبرت عما بداخله

كتب لاحقا:

انتظر رسالتك ولي عتاب عليك، المحب دوما وابداً " معاذ"

جلس أمام التلفاز يقلب بين القنوات علي غير هدي قبل أن ينام علي الاريكة من فرط التعب، استيقظ متأخرا في الصباح التالي، قام بتحضير الافطار وحرص ان يجعله لإثنان حتي يتشاركاه معا كما السابق ولكنه تناول طعامه وترك الجزء الأخر كما هو ثم ارتدي ملابسه علي عجل وانصرف

في الطريق عرج علي محل لألعاب الأطفال، هناك دمية لفيل مبتسم بشكل محبب للنفس، يعلم ان (فدوى) تحب هذا النوع من الالعاب فاشتراه وهو ينتوي اصطحابه للمنزل ، عاد به مسرعا ووضعه علي الفراش لكي يفاجئها به

تفصح المنضدة ، لاحظ ان الرسائل الصفراء بقت في مكانها كالمعتاد، لم يعد يحتمل الأمر، ثلاثة أيام بلا رسائلها ، لن يستطيع العيش كذلك، أسرع لغرفة النوم ، قلب في دفتر الرسائل الزرقاء الخاصة بها وهو يخرج اوراق فارغة ويمسك بقلمها ويكتب في الورقة الاولي

احبك يا (معاذ)

تطلع للورقة للحظة قبل ان يتمتم بصوت خافت

أحبك يا (فدوى)

امسك الورقة الثانية وكتب

"سامحني يا معاذ"

لمعت عيناه وهي تهم بالدمع قبل ان يكتمه قائلا بهمس

" لم تخطأي حتي أسامحك يا فدوى"

امسك الورقة الثالثة وهو يكتب

" وسامح السائق يا " معاذ" لم يكن ذنبه ، انا من عبرت الطريق فجأة ولم يكن بوسعه ان يتفاداني"

هنا هطلت عيناه بالدمع وهو يكرمش الورقة في ثنايا يده بقوة وكأنما هي من تقبض عليه قبل ان يرفع رأسه لصورة (فدوى) الباسمة علي الجدار وقد ازدانت بشريط اسود وهو يسترجع حديثها مجددا

- هل ستنقطع رسائلك لي يوما

- ابدا

- حتي ولو كبرنا بالعمر، حتي لو افترقنا في المسافات ؟

- لن يحدث، اليوم الذي سأتوقف فيه عن كتابة الرسائل بالتأكيد سأكون ميتا

طفق يدمع مجددا وهو يلتقط ورقة صفراء ليكتب

" فدوى " أنت تعلمين اني احبك ولكني احبك أكثر مما تعلمين